

دراسة سلامة القلب من منظور ارتباطها بالرغبات والآمال الإنسانية

دراسة العلاقة بين «لا إله إلا الله» والقلب السليم؛ دور سلامة القلب في إدراك التوحيد

تُعَدُّ عبارة «لا إله إلا الله» في ظاهرها أحد ركني الشهادتين، وجملةً تعبّر عن توحيد الله تعالى؛ أي إعلانًا يفيد بأنه لا معبود سوى الله. ولكن، ما هو البعد الباطني لهذه العبارة؟ وكيف تنتقل من كونها شعارًا يُردّد إلى حقيقة عملية تنفذ إلى عمق الحياة الإنسانية؟ وهل يمكن للذكر اللفظي وحده أن يغيّر أعماق الوجود الإنساني؟

من جهة أخرى، فإنّ «القلب السليم» يعني في ظاهره القلب الطاهر من التلوّثات والرذائل والشكوك. وفي البحث المتعلق بدور القلب ومكانته في علم الإنسان، يُعرّف القلب على أنّه أهمّ عنصر في الكيان الإنساني، والمركز القيادي للنفس؛ فهو موضع تنبع منه جميع القرارات والميول والاتجاهات. كما أنّ الغاية النهائية من الخلق هي الوصول إلى هذا القلب السليم. فالقلب، سواء أكان سليمًا أم مريضًا في هذه الدنيا، هو الثروة الحقيقية الوحيدة التي ترافق الإنسان عند دخوله إلى عالم البرزخ والحياة الأبدية. وكلّما كان القلب في هذه الدنيا أكثر صفاءً وسلامةً، كان أكثر انسجامًا وتوافقًا مع ظروف الحياة في العوالم اللاحقة.

وبالنظر إلى أنّ القلب هو الحاكم المطلق للوجود الإنساني، ومحلّ اتصال الإنسان بمعشوقه الحقيقي، فكيف يمكن التأكد من أنّ هذه القيادة قد أُنيطت بالجانب الإنساني العاشق في داخلنا؟ وهل يكفي مجرد الإدراك النظري لوجود الله والتلقّظ بعبارة «لا إله إلا الله» لكي يتطهّر القلب من الشوائب ويصبح الله وحده حاضرًا فيه؟ وهل يؤدّي جمع المعلومات والمعارف الكثيرة عن الله بالضرورة إلى حضوره الحقيقي والعاشق في القلب؟

إنّ عبارة «لا إله إلا الله» ليست مجرد شعار ديني، بل هي تقرير دقيق عن سلامة القلب، ورمز لتفعيل الجانب العاشق في الوجود الإنساني. فالوصول إلى عمق هذه العبارة وإدراك حقيقتها يحتاج إلى قلب سليم. إنّ القلب السليم يوفّر أرضية مناسبة لتجلي حقيقة التوحيد، ويجعل الإنسان قادرًا على غرق كامل وعملي في

حبّ الله والعشق له، لا أن يكتفي بمجرد تكرار هذا الذكر بلسانه. ومن هنا يمكن اعتبار «لا إله إلا الله» و«القلب السليم» وجهين لحقيقة واحدة.

انسجام حقيقة «لا إله إلا الله» مع القلب السليم

لفهم العلاقة العميقة بين «لا إله إلا الله» و«القلب السليم»، لا بدّ أولاً من التعرّف على حقيقة القلب الوجودية. إنّ القلب هو الثروة الوحيدة التي يحملها الإنسان معه إلى الآخرة وعالم البرزخ، بل إنّ حقيقة وجود الإنسان كلّها تتمثل في قلبه. أمّا الجوانب الحسية والخيالية والوهمية، وحتى القدرة على التعقل والاستدلال، فهي مجرد مقدمات وأدوات تابعة لهذا الجوهر المحوري في الكيان الإنساني. ومن هنا، فإنّ معيار تقييم الإنسان عند الله لا يقوم على علوم دنيوية أو كمالات ظاهرية أو نجاحات مادية، بل على محبوبات تستقرّ في قلبه. فالله تعالى لا ينظر إلى ظاهر الإنسان، وإنما ينظر إلى باطنه وقلبه.

فقد قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ وَ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ»^١. هذا التعريف يجسّد بدقة البعد الباطني لعبارة «لا إله إلا الله». فشعار الإسلام الذي يعلن «لا إله إلا الله» إنما يعبر في حقيقته عن أنه لا معبود ولا محبوب سوى الله؛ ولذلك فإنّ بنية القلب السليم تنسجم تماماً مع هذه الحقيقة التوحيدية. فالقلب السليم هو قلب لا يضمّ في داخله محبوباً غير الله، بل يتجه بكلّ حبه وتركيزه نحو الحقّ تعالى وحده. ومن جانب آخر، ينبغي الالتفات إلى أنّ قلب الإنسان هو حرم الله تعالى.

وكما ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «الْقَلْبُ حَرَمُ اللَّهِ فَلَا تُسْكِنُ حَرَمَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ»^٢. هذه الرواية تكشف أنّ الوصول إلى حقيقة «لا إله إلا الله» ليس أمراً لفظياً فحسب، بل يحتاج إلى تطهير داخلي عميق. فلكي يكتسب الإنسان القلب السليم، ينبغي له أن يخرج من قلبه كلّ ما سوى الله، وأن يضعف تعلّقه بغيره، سواء أكان ذلك بالأشياء أم بأشخاص أم برغبات دنيوية.

إنّ القلب السليم هو أرضية تتحول فيها عقيدة التوحيد من مجرد شعار يُقال باللسان إلى حقيقة حيّة متجسدة في وجود الإنسان؛ حيث يمتلئ القلب بذكر الله، ولا يبقى فيه موضع لأي معبود آخر.

^١ الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ٣، ص ٢٦

^٢ الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ص ١٨٥

الوظائف التربوية للإيمان بـ«لا إله إلا الله» في سلامة القلب

بعد أن اتّضح البناء المعنوي للعلاقة بين «لا إله إلا الله» و«القلب السليم»، يبرز الآن هذا التساؤل: كيف يتحول هذا الاعتقاد التوحيدي إلى حقيقة عملية تدخل في صميم الحياة اليومية؟ وما أثره في الصحة النفسية والسلوك الإنساني؟ وهل تقتصر هذه المفاهيم على الطمأنينة والآثار الأخروية فقط، أم أنّ لها تطبيقات عملية في الحياة الدنيا أيضًا؟

إنّ عبارة «لا إله إلا الله» ليست مجرد شعار ديني أو مفهوم فلسفي، بل هي توصيف دقيق لسلامة القلب، ورمز لتفعيل الجانب العاشق في الكيان الإنساني. فعندما يؤمن الإنسان بهذه الحقيقة ويجعلها راسخة في أعماق وجوده، تحدث تحولات جوهرية في شخصيته.

إنّ الإيمان بـ«لا إله إلا الله» بوصفه أصلًا وقيمة إنسانية يصنع من الإنسان شخصية صلبة مقاومة للصدمات. وهذا يعني أنّ الإنسان الذي يمتلئ قلبه بذكر الله، ولا يرى معبودًا سواه، يصبح أكثر قدرة على مواجهة مصاعب الحياة وشدائدها والأحداث المؤلمة، فلا ينهار بسهولة أمام الأزمات. كما أنّ هذا الإيمان العميق يسهم في علاج الكثير من الاضطرابات النفسية والروحية. فالإيمان بالتوحيد وحقيقة «لا إله إلا الله» يؤدي إلى زوال أمراض مثل الغضب، والعنف، وسرعة الانفعال، والحساسية المفرطة، والحسد، والوساوس الفكرية، والعقد النفسية؛ لأنّ الإنسان عندما يجعل الله محبوبه الوحيد، تذبل في قلبه جذور التعلقات الزائفة ومصادر الحقد والحسد الناتجة عن التعلق بغير الله.

إضافة إلى ذلك، فإنّ ذكر «لا إله إلا الله» يذكر الإنسان بزوال الدنيا وعدم ثباتها. وهذا التذكير يجعل الإنسان لا يندفع بالمظاهر الدنيوية، بل يتهيأ للحياة في الآخرة وظروفها الوجودية. فالإنسان الذي يتعلّق بالدنيا وينشغل بغير الله لا يستطيع أن يحمل معه إلى الآخرة قلبًا سليمًا؛ ذلك القلب الذي يصفه القرآن الكريم بأنّه الثروة الحقيقية الوحيدة النافعة للحياة الأبدية: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^٣. إنّ تحويل عبارة «لا إله إلا الله» إلى ممارسة عملية في الحياة يجعل الإنسان من أهل العفو والمغفرة، فيصبح قادرًا على تجاوز الآخرين دون حقد أو عقد نفسية، ويعيش في نهاية المطاف حالة من

^٣ سورة الشعراء، الآيتان ٨٨ و ٨٩

السعادة والطمأنينة. وهذه السكينة والصحة النفسية هما ثمرة الحضور الحقيقي لله في القلب، والنتيجة المباشرة لامتلاك القلب السليم.

إنَّ العلاقة بين «لا إله إلا الله» و«القلب السليم» علاقة عميقة وبنوية. فالقلب السليم هو التجلي الواقعي والباطني لعبارة التوحيد «لا إله إلا الله»؛ حيث يتطهَّر حرم القلب من كل ما سوى الله، ويصل الإنسان إلى مرتبة من العشق والتوحيد العملي لا يبقى معها أي محبوب آخر في وجوده.

وهذا الإيمان، إضافةً إلى كونه يهيئ الإنسان للحياة الأبدية، يمنحه في الدنيا أيضًا شخصية قوية مقاومة للصدمات، ويقضي على جذور الأمراض النفسية مثل الحسد والحقد والوسواس، ويمنح الإنسان الطمأنينة الحقيقية والصحة النفسية السليمة. ومن هنا، فإنَّ الوصول إلى حقيقة «لا إله إلا الله» واكتساب «القلب السليم» يمثلان وجهين لحقيقة واحدة، ويشكِّلان الغاية النهائية من الخلق، ومفتاح السعادة الأبدية للإنسان. هل سبق لك أن مررت في حياتك بلحظة شعرت فيها أنَّ الله وحده يملأ قلبك؟ وما الأثر الذي تركه هذا الشعور في طمأنينتك الداخلية؟ يسعدنا أن تشاركنا تجاربك وآراءك حول العلاقة بين «لا إله إلا الله» و«القلب السليم».